

مسؤوليتنا كشبّان مسلمين / ج (3)



www.balagh.com

إنَّ هذا مثل من أمثلة عديدة استطاع فيها الشُّبّان الحيلولة دون ارتكاب جرائم ومعاصٍ واختراقات؛ لأنَّ طهارة نفوسهم، ومشاعرهم غير الملوثة، وحبّهم للعدل والإنصاف، يساعدهم في أن يكونوا حُمَّاة الحق والعدل والذِّراهة والعفة والأمان. إنَّ الناس ينتظرون إلى الشاب أو الفتاة المهدى بين المتخلِّفين بأخلاق الإسلام نظرة إكبار وإجلال وتقدير، وكثيراً ما يشيرون بإصبع الإعجاب إلى أحد الشبان بالقول: انظروا إلى عفافه وإيمانه واستقامته. بل إنَّ الله تبارك وتعالى يتباھي على ملائكته في عبادة الشاب وانقطاعه إليه، ويقول لهم: انظروا عبدي لم تشغله شهواته عذري. وورد في الحديث أنَّ سبعة يظلانهم الله بطل عرشه يوم لا ظل إلا ظلَّه: "... وشاب دعته إمرأة ذات جمالٍ ودلالٍ فأبى!"! لقد كان يوسف (ع) في إعراضه لآن (زُليخا) الأول لكنَّه لم يكن الأخير، فلقد فتحَ الطريق لأمثاله من الشباب الذين يتعرضون لمثل موقفه، وقال لهم: إن كنتم مسؤولين فهذه هي المسؤولية. ولمَا كان الشاب بطبيعته النزيحة يكره الظلم والحيف والغش والكثير من المظاهر الاجتماعية والسياسية المدانة، فإنَّ مسؤوليته تنبع من شعوره بضرورة إحقاق الحق وإبطال الباطل، ولذا فإنَّ من بين مسؤوليات الشباب الأخلاقية، مكافحة المساوى والرذائل الأخلاقية كذبة وغيبة ونفاقاً وعقوقاً للوالدين، وسخرية الآخرين وانتقاداً لأقدارهم، وعصبية للأهل وأبناء الوطن، وغروراً وتكبراً على الناس وخيانة للأمانة وما إلى ذلك. فعلاوة على أنَّ هذه هي مسؤولية دينية، فإنَّها مسؤولية اجتماعية أيضاً، فالشباب أولى من غيرهم في

توقير الكبار واحترام الجيل السابق على الرغم من اختلاف أذواقهم وتوجهاتهم مع أبناء ذلك الجيل، ولذا فإنّ المسؤولية تتطلب أن يعقدوا علاقات صداقة وحوار معهم، وأن يقدّروا تجاربهم ومعاناتهم: "ليسَ مَنْ لَمْ يَرَهُمْ صَغِيرَنَا وَيَوْمَ كَبِيرَنَا". والمسؤولية الأدبية تنتظر من الشاب أن لا يكون خشبة في مجرى الحملات المشبوهة التي تريد أن تتدخّل منه أداه لماربها، سواء كانت مجونة أو خلاعة أو تميّعاً أو تخذلاً أو انحلالاً، وأن يدرك مرامي تلك الحملات التي تريد أن تنسف هويّته الإسلامية وتدعوه بأساليبها المختلفة إلى نبذ القيم وضرب العادات والتقاليد عرض الحائط. إنّنا كشبّان يمكن أن نعمل بطريقه جماعيّة للذّهوض بهذه المسؤولية بأن نعمل مع أترابنا على مكافحة آفة أخلاقيّة خطيرة تنخر في زاوية أو دائرة من دوائر المجتمع، بأن تكون القدوة في اجتنابها، والتحدى بالتي هي أحسن مع الذين يمارسونها معدّة إلى الله ولعلّهم يتّقون. إنّ نبي الله موسى (ع) حينما شعر بثقل المسؤولية الإلهيّة في دعوة فرعون الذي يعتبر نفسه ربّاً أعلى، لم يتردد في الطلب من الله سبحانه وتعالى أن يبعث معه مساعداً في المهمّة الصعبة، وقد اقترح أخاهُ (هارون)، لذلك فاستجاب الله تعالى لطلبه، مما يعني أنّ المهمّات الكبيرة والمسؤوليات الضخمة تتطلب جهوداً تتناسب وحجمها، فكلاًّ ما تعاونت الأيدي على حمل الحمل الثقيل خفّ حمله. ومن بين المسؤوليات الأخلاقية التي ليس لها إلا هم الشباب، محاربة اعتبار العلاقة الإنسانية علاقة مادية تجاريّة بحتة، فقد تشوّه الإحساس بالحبّ في الله، وغابت في كثير من الأحيان العلاقات الأخويّة القائمة على التسامح والتراسد والتبادل والتواصل والتسامح والإيثار، وقد مسحت الكثير من هذه المفاهيم في سوق يتصارع فيها التجّار. إنّ نظرات هابطة مثل: "عندك درهم تساوي درهماً"، وإن لم يكن عندك فلا تساوي شيئاً، أو "كن ذئباً وإلا أكلتك الذئاب"، أو "حشر مع الناس عيد"، أو "عليّ وعلى أعدائي"، أو "إذا مت طمّاناً فلا نزل القطر"، ليس لها مَن يتصدّى لها سوى همّة شابٌ عرف مسؤوليّته الأخلاقية في مجتمعه، وأحزنه أن تسود المصور الشّوهاء والمناظر القبيحة فيه، وعمل هو وأمثاله على تغيير تلك المصور بصبرٍ وأناءٍ وبالتدريج. لقد كانت واحدة من أهمّ مسؤوليات الأنبياء والمصلحين، هي تصحيح المفاهيم للناس، وجعلهم يتّعلّقون بالقيم الحيّة التي ترفع مستواهم الحياتي، لا أن يبقوا أسراء ما توصّل إليه الأجداد والآباء. ولذلك، فمسؤوليّة الشاب أو الفتاة المسلمـين أن يتعرّفوا على المفاهيم الصحيحة أوّلاً، وأن يعرّفوا المفاهيم السلبية والخاطئة ثانياً، وأن يُمهّدوا الطريق لكي يأخذ الصحيح مكانه.

9- المسؤوليّة الاجتماعية: أنتَ كشاب تربطك بالمجتمع من حولك شبكة من العلاقات: علاقة مع الوالدين والأسرة والأقرباء، وعلاقة الإخوان والأصدقاء والزّملاء، وعلاقة مع عامة الناس. في العلاقة مع الوالدين والأسرة وبما يتّصل بها من أرحامك.. أنت مسؤول عن الإحسان

للوالدين والبرّ بهما: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيمَانُهُ
وَبِالْإِيمَانِ إِنَّهُ سَارِيًّا) (الإسراء/23)، وذلك بأن تتجذّب قول (أُف) لهما ولا
تنهرهما ولا تسيء إليهما بأيّة لفظة أو فعلة: (وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا
مَعْرُوفًا) (لقمان/15)، وأن تعمل ما في وسعك لإشعارهما بحبي الكبير لهما، وبتقديرك
فضلهما عليك، وامتنانك للطهّهما بك، وب حاجتك إليهما في المواقف الصعبة، وإلى دعائهما
لك، وذلك بإشاعة الجوّ الأبوّي - النبوي الحميم الذي يشعرهما ويشعرك أنّك مهما كبرت
ومهما كبرا، فإنّ التواصل معهما يشدّ حاجة نفسية لك ولهم. وفي العلاقة مع أفراد
الأسرة، فأنت مسؤول عن احترام الكبير والعطف على الصغير، مما يحقق الراحة النفسية
للجمّع، ويزيد الألفة والمحبة بينهم، مثلما أنّك مسؤول - في نطاق توزيع الأعمال
المنزليّة - بأخذ قسطك منها بقدر ما يسمح به وقتك وإمكاناتك، وخير الأعمال ما كان
تطوّعاً. إنّ انتسابك لأسرة ذات سمعة حسنة بين الناس يحملك أيضاً مسؤوليّة الحفاظ على
سمعتها نقية زاهية، وذلك بأن لا تجلب لها ما يسيء ويخدش فيها. وأمّا العلاقة مع الأخوان
والاصحاب والأصدقاء، فأنت مسؤول بأن تبنيها على أساس (الإيمان): (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ
إِخْوَةٌ) (الحجرات/10)، حتى تنتفع بصحابتهم وينتفعوا بصحابتك في الدنيا والآخرة..
ومسؤول أيضاً عن إصلاح الخلل فيما يقع بين إخوانك المقربين: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ
إِخْوَةٌ) (الأنفال/1)، وأن تكون مرآتهم التي يرون فيها جمال تصرّفاتهم وقيتها، فلقد
ورد في الحديث أنّ الأخ الذي يمكنك أن تثق به هو الذي يعرّفك عيوبك، وإنّ "المؤمنون"
مرآة أخيه المؤمن". صافت بأحدّهم الحال (الحالة المعيشية)، فذهب إلى دار صديقه
وأخبره بأمره، فأخرج الصديق له ما كان من الدّين ورجع إلى داره باكيًا، فسألته
زوجته: ألم تقصّ حاجته؟! قال: بل. قالت: فعلام تبكي؟ قال: إنّما أبكي لأنّي لم أتفقّد
حالة صاحبي حتى احتاج إلى أن يسألني!! إننا يمكن أن نوسّع فهمنا للقول المأثور: "سلّمْ
عن الرّفيق قبل الطريق"، على أنّه ليس في حال السفر فقط، بل حتى في الرّفقة في طريق
الحياة، ذلك أنّ كل صديق مقرّون بصاديقه، وقد أشار أحد الشعراء إلى ذلك بقوله: صاحب
أخًا تحظى بصحابته *** فالطّبع مكتسب من كلّ مصحوب كالرّيح آخذة مما تمرّ به ***
نتناً من الذّئن أو طيباً من الطّيب وكما أنت مسؤول عن الأسرة والأصدقاء، فإنّك مسؤول
عن الناس من حولك في تعاملك معهم والسعى لخدمتهم، والتخفيف من معاناتهم، والتعاون معهم
في أعمال الخير والبر والصلاح التي تدرّ على النفع العام و"الأقربون أولى بالمعروف"،
وكلّ ما امتدّت روحية الشاب المتفاعل اجتماعياً على نطاقٍ أوسع، دليل ذلك على عميق
إيمانه ورحابة فكره ونبيل عواطفه الإنسانية. إنّك قد تجد لذّة في خدمة (قريب)، لكن
اللذّة سوف تتضاعف أكثر حينما تقدّم خدمتك لـ(بعيد) أو (غريب)، لأنّك تشعر حينئذ

بأنك تخرج من إطار محدد إلى ساحة مفتوحة على الخير كلّه، وقد جاء في الحديث: "خير الناس مَنْ نَفَعَ النَّاسَ". إنّ الطريق إلى بناء علاقات اجتماعية أمنة يتطلّب منّا كشبّان أن نعرف ما هي العوامل التي تقوّي هذه العلاقات؟ وما هي الأمور التي تضرّ بها وتضعفها؟ والآثار الإيجابية المترتبة على هذا وذاك؟ إنّ معرفة حقّ الآخر واحترام هذه الحقّ - سواء كان الآخر أباً أو أمّاً أو صديقاً أو قريباً أو غريباً - يجعلك موضع تقديره واعتزازه وشكره ودعائه لك بالخير.. وما يدرك فلعلّ لطفك به ينزل لطفاً من الله بك، فـ"الخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالٌ إِنَّمَا أَحَبُّهُمْ لِعِيَالِهِ". - المسؤولية الاقتصادية: ونعني بها مسؤوليتك كشاب في ترشيد الإنفاق والاستهلاك، فلقد سادت أو شاعت النّظرة الماديّة في حيّاتنا، حتى تهالك الشبان والفتيات على الاستهلاك المبالغ فيه للحاجيات، بما يصل إلى حدّ التبذير والإسراف في بعض الأمور غير الضرورية أو غير الأساسية. فمع أنّ الاهتمام بالمحظوظ شيء حسن، لكنّ المبالغة في ذلك بحيث تمتلئ خزانة الشاب أو الشابة بملابس قد لا يرتدي بعضها سوى مرّة واحدة أو مرّتين ثمّ يبطل استعمالها، مما يُثقل ميزانيّة الأسرة وكاهلها بنفقات يمكن أن توظّف لتلبية احتياجات أكثر أهميّة. فالشبان المسؤولون عن التنبّه إلى (ثقافة الاستهلاك) التي تجيد وسائل الدعاية والإعلان طرحها معتمدة على الإبهار البصري ومناغاة العواطف والأذواق في ذلك، إذ لا بدّ من حذر الوقوع في شراك الإغراء بعدم تصديق كلّ ما يعرض على الشاشة من إعلانات ترويج البيضائع والسلع التي تحمل في بعض الأحيان عناوين كبيرة ومصايم صغيرة وغير واقعية أحياناً. كما أنّ المسؤولية الاقتصادية تتطلب إعادة النظر في بقاء الشاب عالة أو كلاًّ على أسرهم حتى إكمال دراساتهم، فالاستفادة من العطل الصيفيّ في الانحراف بأعمال معيّنة سوف يساعد الشاب على خوض تجربة عمل ميدانية، وعلى حصوله على بعض المال الذي يُلبي احتياجاته على الأقل. أرسل أحد التجار ولده في تجارة ليُعوّده على الأسفار والإزدجاج واقتحام الأخطار، فرأى في طريقه ثعلباً طرياً يتلوّى من الجوع، فقال: من أين يتغذّى هذا المسكين؟ فأقبل أسد يحمل فريسة فأكلها وترك بقية لا خير فيها ومضى، فقام الثعلب فأكل من فضلة الأسد! فتكتوّنت في ذهن الشاب فكرة أو تصوّر ارتاح له، ووقف راجعاً لأبيه، وعندما التقاه سأله: إذا كان الله قد تكفل لعباده بالرزق، فلماذا احتمال المشاقّ وركوب البحار والتعرّض إلى الأهوال والأخطار؟ وعندما سأله الأب ابنه عن غايته من السؤال، نقل له قصة الأسد والثلعب، ففطن الأب أنّ ابنه أخذ الدرس مغلوطاً، ولم يفهمه كما ينبغي، فقال له: لقد أخطأك النظر يا بُنيّ، فإذّما أردتُكَ أن تكون أساً يأكلُ الجميعُ من فضلاتِه، لا ثعلباً جائعاً ينتظرُ قوته من فضلاتِ غيره!! رُويَ أنَّ قوماً من أصحاب رسول الله (ص) لمّا نزلت الآية: (وَمَنْ يَتَّقَ اللَّهَ يَأْجُوْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَمْرُّ زُقْهُ مِنْ

حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) (الطلاق/ 2-1)، أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة، قالوا: قد كُيِّفنا! (أي لا تحتاج أن نعمل، فقد تكفل الله برزقنا). فبلغ ذلك النبي (ص)، فأرسل إليهم، وقال: ما حملكم على ما صنعتم؟ فقالوا: يا رسول الله، تُكْفِل لنا بأرزاقنا، فأقبلنا على العبادة، قال: "إِذْهَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يُسْتَجِبْ لَهُ، عَلَيْكُمْ بِالطَّلبِ"! إنَّ من الخطأ أن نبقى عاطلين عن العمل حتى وقت التخرج من الجامعة، فورشة العمل أو الدورات التدريبية والتأهيلية التي ندخلها اليوم سوف تتيح لنا فرصاً للعمل أوسع بلحاظ الخبرة التي نحصل عليها. وقد يستطيع الشبان إن هم اجتمعوا آراءهم وأصواتهم الجريئة المطالبة بإنشاء مصارف خاصة بهم تمدّهم بقرصنة تُسدّد بالتقسيط المريح لفتح مشاريع عمل ولو بسيطة، أو الإشتراك في مشاريع أوسع، وقد تساعدهم في تسهيل شؤون زواجهم وتأسيس بيت الزوجية. كما يمكن المطالبة باستثمار أراض زراعية جديدة غير مستثمرة، وبناء قرى ومدن حولها يتولّ الشبان إنشاءها وتطويرها، وتقوم الجهات المعنية بالإشراف عليها وتوفير خدماتها الأخرى. وقد لا يُستجاب لذلك، بسبب ما نعرفه جمِيعاً من تعقيد الأوضاع، لكنَّ كثرة الطرق ربّما تفتح الأبواب المغلقة والأذان المغلقة والعقول المغلقة، وإذا لم يستجب للمطالب كاملة فلبعضها على الأقل، وقد يُماطل: "ما صاعَ حَقَّ ورَاءَهُ مُطَالِبٌ"، وإنَّ الحقوق تؤخذ ولا تُعطى". إنَّ المسؤولية الإقتصادية تتطلّب أيضاً من الشبان الميسوري الحال أن يكون لهم إنفاق خيري، وما أكثر محالاته، ومنها دعم إخوانهم الشباب المعسرين لا في تقديم مساعدة مالية عابرة فقط، بل بالتوسّط لهم من أجل تشغيلهم، ويبقى عمل الشاب نفسه مسؤليته الأولى، فلقد مرَّ على رسول الله (ص) شابٌ فتعجب أصحاب النبي (ص) من جده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟! فقال (ص): "إن كان يسعى على ولدِ صغارِ، فهو في سبيل الله. وإن كان خرجَ يسعى على أبوين شيخين كبيرين، فهو في سبيل الله. وإن كان خرجَ يسعى على نفسه يعفّها، فهو في سبيل الله. وإن كان خرجَ يسعى رباءً ومفارةً، فهو في سبيل الشيطان"!! ومرَّ أمير المؤمنين علي (ع) على قوم، فرأهم أصحابه جالسين في زاوية المسجد، فقال (ع): "مَنْ أَنْتُمْ؟" قالوا: نحن المتكَلّمون؟ قال (ع): لا بل أنتم المتكلّمة، فإن كنتم متوكّلين، مما بلغ بكم توكلكم؟ قالوا: إذا وجدنا أكلنا، وإذا نفدنا (انعدم رزقنا وطعامنا) صبرنا. قال (ع): هكذا تفعل الكلاب عندنا! قالوا: كيف نفعل؟ قال: "قولوا إذا وجدنا (بذلنا)، وإذا فقدنا (شكراً)!"